وحتى هذا يبدو انه بحاجة الى جهود وتضحيات اخرى كثيرة، اكرر جهود وتضحيات اخرى كثيرة.

غير انه، من ناحية ثانية، وعلى رغم الانجازات التي حققها العمل الفلسطيني، والسياسات العقلانية التي رافقتها، والسعي الى ايجاد تسوية عادلة للقضية الفلسطينية، بشكل واسلوب حظيا بتأييد عارم من قبل المجتمع الدولي، عدا بعض الانظمة هنا وهناك، على اهمية بعضها واتساع تأثيره، بدا النشاط الفلسطيني، احيانا، وبعد عشرين سنة من انطلاقته، كأنه ابعد ما يكون عن تحقيق اي من أهدافه. والقول صحيح خصوصا بالنسبة للهدف الرئيسي الراهن المتمثل في السعي الى تحقيق استقلال سياسي فلسطيني، ولو على جزء من ارض الوطن. بل بدا احيانا، في بعض اللحظات الحالكة، كأن الاطر السياسية التي أقيمت بجهد وتعب شديدين، ومن خلال تقديم تضحيات جمة، توشك على الانهيار ممهدة لاعادة القضية الفلسطينية الى النقطة التي بدأت منها قبل عشرين سنة، وكأن كل تلك الجهود والتضحيات قد ذهبت، او توشك ان تذهب سدى.

ولم نصل الى هذه الحالة، بالطبع، صدفة؛ بل ان ذلك نجم عن تقاعس واهمال واخطاء واوهام عديدة ومتشابكة، فعلت فعلها وافرزت الوضع الذي نعيشه حاليا، بعد عمليات خلط اوراق فلسطينية وعربية واسرائيلية ودولية، كادت تعمي البصر وتسد كافة الطرق. والمسؤولية عن مثل هذا الوضع يساهم فيها اكثر من طرف. فليست «طبيعة العدو الصهيوني» و «الامبريالية العالمية» فقط هما اللتان تتسببان في نشوء الاوضاع التي نعيشها حاليا، بل ساهمت في ذلك ايضا، وربما ساعدت عليه، من خلال ردود فعل او عدمها، «طبيعة العرب»، وكذلك ـ وهذا ما يعنينا اساسا هنا ـ «طبيعة الفلسطينيين» او، على وجه التحديد، طبيعة «منظمة التحرير الفلسطينية» ومعظم، ان لم يكن كل العاملين في اطرها من تنظيمات او هيئات او افراد. والقصة طويلة وعريضة، وتحتاج الى حديث غير قصير. ولأهمية مثل هذا الموضوع، لا بد من التكلم بصراحة.

اعداء الاستقلال الفلسطيني

جوبه النشاط الفلسطيني المتجدد، منذ راح يتبلور في حركة فدائية، سرعان ما راحت تتعاطى السياسة ايضا، وان تم ذلك في بداية الامر على طريقتها البدائية الفجة، بمعارضة شديدة من قبل الكيان الصهيوني في فلسطين، رافقتها ايضا معارضة مماثلة، بدت في ظاهرها اخف قليلا، رغم انها كانت احيانا اشد شراسة، من قبل بعض الانظمة العربية. وسرعان ما التقت مصالح الطرفين، حقيقة كانت ام وهمية، في سلسلة من الخطوات والاجراءات المعادية لابسط التطلعات الفلسطينية، وبصورة متواصلة بدا معها، على الصعيد الاستراتيجي، ان صح التعبير، كأن هم الحركة الوطنية الفلسطينية كان دفع المؤامرات عنها الواحدة تلو الاخرى، مقدمة في كل مرة تضحيات جمة، لم تكن ثمة ضرورة لها لو كان الوضع العربي والفلسطيني على غير ما كان عليه.

لقد ركزت الحركة الفلسطينية تواجدها ونشاطها، علنيا كان ام غير ذلك، بصورة بدت طبيعية للغاية، في ما سمي دول الطوق العربية، اي على وجه التحديد الاردن وسوريا ولبنان ومصر، آملة ان تتاح لها ممارسة النشاط هناك وتجميع قواها الى ان تحين لحظة الانطلاق نحو فلسطين، حربا او سلما. الا ان هذا التركيز، بالذات، دفع الى خلق تركيز مضاد، اسرائيلي ـ اميركي، بهدف تقييد النشاط الفلسطيني او تحجيمه، وان امكن القضاء عليه. وعمليا، لم يكن في هذا التركيز